مجلة اللسانيات التطبيقية ISS N : 2588-1566 الصفحات: 517-526
المجلد: 05 العدد: 02 السنة: 2021

ثنائية اللغة والكلام عند عبد القاهر الجرجاني
قراءة لسانية في نظرية النظم من منظور حمادي صمود

Bilingualism and speech in the rhetorical thinking of the Arabs HammadiSamoud's reading of the rhetorical author of Abd al-Qaher al-Jarjani as a model

طالب الدكتوراه: عيدي عبد القادر*
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
aidiabdelkader2003@yahoo.com

تاريخ الإرسال2021/05/14	تاريخ القبول:2021/06/20

الملخص:

ميّز الجرجاني في نظريته للنظم بين اللغة كنظام في الذهن وبين الكلام كمهارة متحققة على ألسنة المتكلمين، وبهذا التمييز استكمل مهمة سابقيه في بيان أسرار الشعر ودلائل الإعجاز والاستدلال لهما.

وفي ضوء مكتسبات الدرس اللساني الحديث استطاع اللّسانيون المحدثون ومنهم المفكر البلاغي حمادي صمود إعادة قراءة طروحات الجرجاني في نظرية النظم، وتبيّن أهم الأسس التي قامت عليها هذه النظرية.

يؤكد حمادي صمود، أن أهم أسس نظرية النظم هي أسس لغوية " لسانية " قوامها اللغة والكلام، وإن كان لنظام للغة أي ما هو "موجود بالقوة "حظ وفير في بنية النص، فإن للكلام أو ما هو موجود بالفعل" حظه الأوفر في إبراز الفروق اللغوية وتحديد وجوهها.

يكون الجرجاني بهذا الطرح قد حاز السبق وأضحى منافسا لروّاد الدرس اللساني الحديث وعلى رأسه متشومسكي.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ الكلام؛ النحو؛ المعنى؛ معنى المعنى؛ عبدالقاهر الجرجاني؛ حمادي صمود؛ تشومسكي.

Abstract:

This article discusses the position of speech in the rhetorical thought of Abd al-Qaher al-Jarjani, and the extent to which the systems theory converges with the arguments of the modern linguistic lesson - through Hammadi's reading of the steadfastness of the rhetorical achievement of Abd al-Qaher al-Jarjani - where al-Jarjani distinguished between language as a system in the mind that is perceived - which is a social characteristic - and between Speech as a skill during selection and examples achieved on the tongues of speakers, which is an individual quality.

HammadiSamoud was able to collect the rhetorical material present in my book Al-Jarjani, the servant of his theory and analyze it with a linguistic analysis, taking advantage of bilingualism and speech, to reach that the efforts of this period, the period of maturity of rhetorical thinking, were based on speech, and how it was formed before it was He comes out of existence by force into being in action, which was expressed by Al-Jarjani in the terms - “the meaning” and “the meaning of the meaning,” so that he had thus won the first place in proposing bilingualism and speech, until he became, in the view of many scholars, the owner of a theory in the language, thus he met with pioneers The modern linguistic lesson as (Chomsky) and his theory of superficial and deep structure.

Key words: language; talk; Grammar; the meaning; Meaning meaning; Abdul Qaher Al-JarjaniHammadiSumoud; Chomsky.

*المؤلف المرسل :عيدي عبد القادر

مقدمة:

إن دارس تفكير الجرجانيّ و بالتحديد في نظريته للنّظم يدرك أنّها مبنية على أسس لغوية متطورة ، قوامها التمييز بين اللغة والكلام ، تمييزا يضاهي في دقته واستحكام نتائجه ما وصلت إليه الدراسات اللسانية الحديثة من آراء في هذه المسألة تعتبر من المشاغل المنهجية الكبرى التي حظيت بنصيب وافر من مجهودات اللسانيين الغربيين[1]

ومما لا شك فيه أنّ شهرة الجرجاني نالها بكتابيه "دلائل الإعجاز " و"أسرار البلاغة"، والدافع الحقيقي لتأليف هذين الكتابي هو تبين القيم الفنية والاستدلال لها بتفسيرات علمية، لذلك صبّ الجرجاني جهوده في البلاغة على اللغة أو " النحو ومعانيه".

همّ إشكالنا هو الإجابة عن ماهية " اللغة والكلام" عند الجرجاني، وحظّ كلّ منهما في إرساء قوانين نظرية النظم وبلورتها، وهذا في حدود ما قرأه المفكر البلاغي اللساني حمادي صمود، الذي حاول تبيّن ما الذي توفر للجرجاني ولم يتوفر لغيره من سابقيه ليصل بالتفكير البلاغي إلى ما يضاهي به الطرح اللساني الحديث؟

تكمن أهمية هذا البحث في الإجابة عن هذه الأسئلة وإماطة اللثام عنها في حدود ما قرأ حمادي صمود ومكّن له من خلال مؤلفي الجرجاني مستندا على نظرية القراءة في وصف مادة البحث وتحليلها.

1. اللغة والكلام: الماهية والأهمية:

تفضي قراءة حمادي صمود الواعية إلى أنّ أسس نظرية النظم هي أسس لغوية متطورة تضاهي في دقتها واستحكامها نتائج الدراسات اللسانية الحديثة، والناظر في أسس الدرس الحديث يجد أولى هذه الأسس هو التمييز بين اللغة والكلام، فما مفهومها عند الجرجاني؟

1.1 مفهوم اللغة عند الجرجاني : يعرّف الجرجاني اللغة بأنّها : " شيء مركوز في الطباع وجارٍ في عادة كل قوم "[2] ، أو : " في حكم الغرائز المركوزة في النفوس والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب[3]. وهو ما أكده حمادي صمود أين اعتبر اللغة وسيلة أو مادة خاما وجملة من القوانين المجردة لا تكتسي وجودا فعليا إلا بالكلام وفي الكلام.

إذن فاللغة هي نظام في الذهن مستقر في النفس ، و الدلالات اللغوية تعبر عما يجري في نفس المتكلم أكثر مما تعبر عن الحقيقة الخارجية التي تنوب عنها ، وتدل على تصرّف المتكلم في المعاني وحكمه عليها لا عن الحقائق كما هي عكس ما يظن عادة [4] .

2.1 مفهوم الكلام عند الجرجاني:

شكل مفهوم الكلام عند الجرجاني محور أعماله ،كون اللغة مرتبطة بالكلام ، فالناس حين يكلّم بعضهم بعضا : " ليعرف السامع غرض المتكلم و مقصوده " [5] ، تحتم الإقرار بأنّ الكلام لا يمكن أن يقوم بغير اللغة ، إذ لا يخطر على بال أن يحصل التفاهم بين اثنين من غير أن تربط بينهما سنة

مشتركة وجهاز رمزي عرفي ، وقع التواضع عليه والالتزام بتصريف وحداته بما لا يتنافى وطبيعة ذلك الجهاز ، لأن المتكلم لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه "[6].

وهنا يبرز فارق كبير بين اللغة والكلام ، يتمثل في أن اللغة بحكم قيامها على التواضع والاصطلاح ، يمكن أن تتضمن ظواهر تستعصي على التفسير والتعليل لأنها وقعت بمحض الاتفاق والاعتباط ، وهو ما لا يمكن في الكلام لأنه محكوم في الأصل بزمام العقل وترتب المعاني في النفس ولا يصدر من المتكلم إلا عن قصد وعلم سابق بالمباني الملائمة لما يريد[7].

3.1 أهمية الكلام في استقامة نظرية النظم واستكمالها:

يعيد الجرجاني أمر تحديد قيمة الكلام فنيا إلى قطبين رئيسين هما: جنس المزية وأمر المزية، وفيهما تتخلص كل جهوده البلاغية في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

فالبحث عن جنس المزية تولدت عنه كل السياقات والحجج ، التي أوردها للرد على الذين علّقوا المزيّة باللفظ دون المعنى ، أو بالغوا في تقدير قيمة اللفظ على حساب المعنى ، وقد اضطره هذا العمل إلى البحث عن أسس نظرية تدعم تصوره القاضي بأنّ البلاغة والفصاحة إنّما هي في الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب ، ولعلّ من أهمّ الأسس التي بنى عليها هذا التصور نظريته في اللغة والكلام ، وموقع الدراسة البلاغية بالنسبة إلى هذين المحورين[8].

فالمزية تكمن في إصدار الحكم بعد التأليف والتعلق ، كما يقوم التمييز بين اللغة والكلام ، في مؤلفات الجرجاني ، على تساؤل أصلي ذي صبغة بلاغية، استوجبت الإجابة عنه الاستطراد إلى مسائل لغوية ، و هذا السؤال الأصلي أحال المؤلف إلى التمييز بين اللغة والكلام و البحث عن السبب في فضل كلام على آخر في نطاق نفس اللغة[9] ، وبهذا كان لزاما البحث عن العلاقة المكونة لثنائية اللفظ المعنى ، وأيهما له المزية في قيمة الكلام .

2.ثنائية اللفظ والمعنى عند الجرجاني:

شغلت ثنائية اللفظ والمعنى النقاد العرب ، واختلفت وجهات النظر بين أنصار اللفظ وأنصار المعنى ، فالجرجاني لا يفاضل بين اللفظ أو المعنى ، وحتى موقفه من اللفظ فإنّه لا ينبغي فهمه على أنّه يدخل في نطاق التشيع للمعنى ، كما تعرضه كتب الأدب عندنا ، ولكن في تصور بنوي للغة يحصر الدلالة في نظم النّص وبنية أجزائه المتكاملة[10] .

فالمزية في الكلام تكمن في النظم لذا عمل الجرجاني على توطيد العلاقة بين اللفظ والمعنى. وينهي بذلك الصراع القائم بين أنصار اللفظ وبين أنصار المعنى ، فللفظ يستلزم المعنى ولا غنى لأحدهما عن الآخر : " فلا نظم في الكلم ولا تأليف حتى يعلق بعضا ، ويبني بعضها على بعض وبهذا يكون اللفظ تابعا للمعنى , بحسب ما يتم ترتب المعنى في النفس "[11]

ومن أمثلة النظم ما ذكره الجرجاني في كتابه الأسرار من بيت لإمرئ القيس الذي أصبح نموذجا يحتذى به كما هو معروف، لبلوغه أسمى ما يكون أن يطمح إليه هناك في درجات النظم. يقول امرؤ القيس (الطويل):

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ويرى أننا متى قرأنا شطر البيت على هذا النسق في الترتيب، وأبقينا على نظامه الذي عليه بني وجدناه من: كمال البيان، أمّا إذا خرمنا هذا النظام وعددنا كلماته عدا (كيف جاء واتفق)، كأن تقول: منزل قفا ذكرى من نبك حبيب نكون خرجنا به إلى مجال الهذيان.

والسبب في تحول هذا الشعر من النقيض إلى النقيض ليس جرس الحروف وخصائص اللفظ الصوتية فإننا لم نضف كلمة جديدة ، ولا غيرنا ترتيب الحروف داخل الكلمات ، وإنما هو من إبطال نضده وإفساد هندسته وقالبه الذي أفرغ المعنى وأجرى[12] .

3. نظرية النظم في التفكير البلاغي عند الجرجاني:

3 . 1 مفهوم النظم: تشكل نظرية النظم صلب قضايا الجرجاني، ويورد حمادي صمود تحديد الجرجاني لمفهوم النظم بثلاث كيفيات متكاملة: بما ليس هو، وبالتعبير عن معناه عبارة مجملة، وبتفصيل القول في شأنه والبحث له عن أساس ملموس يتبين به فضل الكلام على اللغة.

فليس النظم مجرد توالي الألفاظ في النطق ، وورودها على السمع من غير ترتيب معلوم ، وتأليف مخصوص ، ورسم مسبق ، يضعه المتكلم ليبني الكلام عليه ، وينسق بين أطرافه ليبين عن المراد ، ويبلغ عن القصد ، ولا يتصور في عقل أن يقوم بين الكلمات من حيث هي أوعية جوفاء وأجراس نظم : " لأنه لا يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير ، وتخصي في ترتيب وتنزيل[13] .

فهذا الترتيب والتأليف له ما يفسره ، لأنّ المتكلم حين يريد التعبير عن غرض من الأغراض ، فإنّه يرتب المعاني الخاصة بهذا الغرض في نفسه أولا ، ثم تأخذ هذه المعاني الألفاظ التي تدل عليها، وهذه العملية يسميها الجرجاني: النظم ، وترتيب المعاني في النفس موضوع علم النحو [14]

يقول الجرجاني :" لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وأنك تتوخى الترتيب في المعاني ، وتعمل الفكر هناك ، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ ، وقفوت بها آثارها ، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق" [15]

وبهذا المعنى ، يصبح النظم صنعة وثيقة الصلة بقوى الإنسان المدركة وفي مقدمتها العقل ، ويصبح انتظام الوحدات اللغوية انعكاسا للمضمون في بنائه المنطقي[16]، فليس المزية في توالي الألفاظ نطقا بل في تناسقها وبنائها ، مما حقق الوحدة العضوية.

2.3 معاني النحو في التفكير البلاغي عند الجرجاني:

مما لا شك فيه أنّ الجرجاني لا ينفك ينادي بضرورة الوقوف عند حدود النحو ، وعبارته المشهورة في تعريف النّظم بأنّه " ليس شيئا آخر سوى توخي معاني النحو " ، غنية عن التعليق ، وهو ينعى على خصومه صراحة في الدلائل كونهم لا يعبؤون بالنّحو ويجعلونه " مثل الملح الذي قليله يغني عن كثيره "[17].

فالنظم عنده ليس إلاّ " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه .علم النحو .وتعمل على قوانين و أصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها "[18].

فإذا كان النظم عند الجرجاني مرتبط بمعاني النحو، وهذا ما أقر به كثير من الدارسين، فإنّ حمادي صمود يطرح السؤال التالي: ما المقصود بمعاني النحو؟

هذا السؤال يقر صمود بصعوبة الإجابة عنه : " الجواب عن هذا السؤال ليس ميسورا لأسباب : منها أنّ المؤلف لم يقم بأي جهد تأليفي يبين سبل ربط النظم بمعاني النحو ، ويدقق المعنى الذي يجري عليه كلمة النحو ، وذلك رغم كثرة الإشارات والتحليلات التي توهم القارئ بأنّ الرجل خرج عن ميدان البلاغة إلى ميدان الوصف اللغوي ، كما باشرته أصول النحو الأولى قبل أن تغلب على العلم النواحي الإعرابية الشكلية [19].

ثم يستدرك صمود غموض المقصود من معاني النحو عند الجرجاني ، ويعود إلى ما أجمع عليه البلاغيون ، فيخلص إلى : أنّ الجرجاني يستعمل النحو في معنى واسع يخلصه من سيطرة النزعة المدرسية الشكلية ، التي غلبت على مسائله بعد انتهاء فترة التأصيل ، التي يمثل ابن جنّي قمتها ، كما يخلص إلى أنّ الجرجاني لا يهمّه من النّحو إلاّ الجانب الذي يمكن توظيفه في إطار بلاغي نقدي ، واعتماده أساسا لبيان مأتى الجودة في الكلام وسبب تفاوته في الحسن ، لذلك تراه يضرب صفحا عن مسألة الخطأ والصواب ولا يعير القواعد التي تضمن السلامة من العيب أهمية [20].

فالجرجاني كثيرا ما ربط حسن الكلام ورونقه وتماسك أجزائه ودقة نظمه بخروجه عن أصل التركيب، ومثال ذلك تعليقه على قول الشاعر إبراهيم بن العباس(الطويل):

فلوإذ نبا دهر وأنكر صاحب ... وسلط أعداء وغاب نصير
تكون على الأهواز داري بنجوة ... ولكن مقادير جرت وأمور
وأني لأرجو بعد هذا محمدا ... لأفضل ما يرجى أخ ووزير

فإنّك ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد السبب في ذلك فتجده إنّما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو "إذ نبا" على عامله الذي هو تكون ، وإن لم يقل: فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة ، إذ نبا دهر، ثم إن قال: تكون، ولم يقل: كان، ثم نكر الدهر ولم يقل: فلو إذ نبا الدهر، ثم إن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى من بعد. ثم إن قال: وأنكر صاحب، ولم يقل: وأنكرت صاحبا، لا ترى في البيتين الأولين شيئا غير الذي عددته لك يجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى."[21].

وهنا يبرز موقف الجرجاني من ثنائية اللفظ والمعنى، فلا مزية لأحدهما عن الآخر، وإنما شكّل التناسق اللفظي والمعنوي بينهما تمام الكلام، وبهذا يفضل الكلام على كلام غيره.

إنّ تركيز عبد القاهر الجرجاني على معاني النحو له ما يفسره ، " فقد كانت القواعد النحوية أشبه بدمًى لا روح فيها، فجاء ليبث فيها روح الحياة، ويضفي عليها مسحة من الجمال، ويمنحها بُعدًا نفسيًّا؛ فقد "أعطى للتراكيب النحوية معطيات حية، وولَّد فيها حياة جديدة، وأضاف إليها ألوانًا من الدلالات، وأصباغًا من المعاني، أعادت إلى النحو الحياة، ولمسائله البقاء"[22]

3.3 نظرية معنى المعنى عند عبدالقاهر الجرجاني:

إنّ الجرجاني تميّز بالحذق والفطنة والفهم الثاقب وما نظريته معنى المعنى إلا صورة عن هذا النبوغ الذي سبق به علماء عصره بل ونظريات الدرس اللساني الحديث ، فالرجل جمع إلى الذوق الأدبي قدرة المجادل وصرامة العالم ، فإذا ما أشكل على أجيال من البلاغيين ، يوجز في عبارة هي قمة من قمم التفكير العربي إطلاقا ومنتهى ما وصلت إليه البلاغة في تفسير طرائق الأداء اللغوي في النص الأدبي ، وتلك العبارة هي : " معنى المعنى "[23] .

أورد حمادي صمود نص نظرية الجرجاني معنى المعنى كاملا، يقول الجرجاني " الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن «زيد» مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: «خرج زيد»، وبالانطلاق عن «عمرو»، فقلت: «عمرو منطلق»، وعلى هذا القياس: ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على «الكناية» و «الاستعارة» و «التّمثيل»، وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة. أو لا ترى أنك إذا قلت: «هو كثير رماد القدر»، أو قلت: «طويل النجاد»، أو قلت في المرأة: «نؤوم الضحى»، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرّد اللفظ، ولكن يدل اللّفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من «كثير رماد القدر» أنه مضياف، ومن «طويل النجاد» أنّه طويل القامة، ومن «نؤوم الضحى» في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها.

وكذا إذا قال: «رأيت أسدا»، ودلّك الحال على أنّه لم يرد السبع، علمت أنه أراد التشبيه، إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميّز عن الأسد في شجاعته.

وكذلك تعلم من قوله: «بلغني أنك تقدّم رجلا وتؤخّر أخرى»، أنّه أراد التردد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل وتركه، على ما مضى الشرح فيه، وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: «المعنى»، و «معنى المعنى»، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والّذي تصل إليه بغير واسطة، و «بمعنى المعنى»، أن تعقل من اللّفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسّرت لك" [24]

ليطرح صمود سؤالا: ما الجديد في هذا النص؟

وسرعان ما يجيب عن التساؤل ذاكرا أنّ جمهور البلاغيين قبل الجرجاني فسروا طبيعة العلاقة المؤسسة للمجاز المعنوي بالنقل أي بالتغيير الطارئ على معنى الكلمة ، ولكنهم بدل أن يواصلوا في هذا النهج ، ويفسروا الأحكام اللسانية المترتبة عن هذا الموقف ، رأيناهم يحرصون على تأكيد الشبه المعنوي بين المنقول منه والمنقول إليه أكثر من حرصهم على تأكيد التغيير مما ولّد ذلك السعي إلى ذكر التغيير الحقيقي وترجمة المجازات ، فاختلطت العلاقة اللغوية الموضوعية القائمة في المجاز بالعلاقة الما وراء لغوية النابعة عن قراءاتهم للوجه [25].

بهذا الطرح يعني أنّ هناك معنى ظاهريا كما أنّ هناك معنى باطنيا أو ما عبّر عنه بمعنى المعنى، وهذا المعنى الثاني يحصره الجرجاني في الكناية والاستعارة والتمثيل، التي هي أبرز الصيغ المجازية، فهي جميعاقائمة على أساس توظيف معنى المعنى، وهذه الصيغ المجازية يعتبرها " أمد ميدانا وأشد افتنانا وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا وأوسع سعد وأبعد غورا. وأذهب نجدا في الصناعة و غورا " [26]

ونظرية معنى المعنى بالإضافة إلى كونها قانونا كليا يفسر دلالة المجاز تساعد على فهم جانب مهم من المقاييس البلاغية السابقة وتخريجها على وجه صحيح معقول ، ففي ضوء هذا القانون نفهم الإيجاز والإيحاء .فقولهم في البلاغة إنها كثرة المعنى مع قلة اللفظ لا معنى له ، ان لم نقرّ بتولد المعنى عن المعنى لأنّه لا سبيل أن ندخل تغييرا في المواضعة بتكثير معنى اللفظ أو تقليله غير أنه يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد لو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لا احتاج إلى لفظ كثير [27].

4.ثنائية اللفظ والمعنى والدراسات الغربية الحديثة:

مما لا شك فيه أنّ ثنائية اللفظ والمعنى وموقف الجرجاني منهما من خلال نظرية النظم لها نقاط تلاق مع مقولات الدرس الحديث ، فالمتتبع للتطورات الأخيرة التي عرفتها الدراسات اللسانية ، يندهش حقا عند قراءته لكتابي الأسرار والدلائل ، لما يلاحظ من تشابه بين آراء عبد القاهر وآراء كبار اللسانيين المحدثين [28].

ولقد رأى بعض الباحثين إمكانية لإدراج نظرية النظم، ضمن أحد النماذج اللسانية الحديثة وبالتدقيق "داخل إطار توليدي، وبالخصوص النماذج التوليدية القائلة بقاعدية المكون الدلالي، لأنّهم وجدوا في نظريته ما يدل على أنّه يميز بين مستويين:

- مستوى عميق غير منطوق مشتمل على المعاني الدلالية.
- مستوى سطحي منطوق يتم فيه نظم المقال على مرحلتين : مرحلة تستبدل فيها المعاني العميقة بألفاظ القاموس ومرحلة تعلق فيها هذه الألفاظ بعضها ببعض حسب قواعد التركيب[29].

وبهذا يمكن القول أنّ نظرية معنى المعنى عند الجرجاني تتلاقى مع تحليل تشومسكي من خلال البنية العميقة والسطحية فقاسمهما المشترك هو دور النّحو في هذه البنى.

إنّ تصوّر تشومسكي للنّحو، ورفضه المطلق للمنهج الوصفي، وربطه اللغة بالجانب العقلي، هو بذلك يتلاقى مع الجرجاني وبخاصة مصطلحي التحويل والتوليد. فالجرجاني يرى النظم يتوقف على معاني النحو، وأن مصطلحات ثلاثة تؤدي إلى الغرض من معاني النحو وهي : الوجوه والفروق والموضع ، وثلاثتهما تتظافر لتدل على أنّ اللغة توفر لمستعملها أكثر من إمكانية لصياغة نفس الوظيفة النحوية ، وأن بين هذه الإمكانيات المتنوعة في البناء فروقا معنوية ، وأنّ كل بنية مع ما يصاحبها من خصوصيات معنوية توافق مقاما معينا وتخدم غرضا دون غرض[30].

وقد نص الجرجاني على معنى التحويل والتوليد ، عندما بيّن أن المعاني النحوية مثل سبيل الأصباغ الألوان التي تعمل منها الصور والنقوش ، واختلاف النظرة للقارئ لهذه الألوان[31]

ويعبر صمود عن مصطلحي التحويل والتوليد بقوله:" إذا ما أردنا ترجمة ذلك إلى لغة اللسانيات المعاصرة قلنا إنّ الوظيفة النحوية – الحال مثلا – تمثل بنية عميقة يمكن تحويلها إلى جملة من البنى اللغوية السطحية تتعلق كل واحدة منها بخاصية معنوية تنضاف إلى الأصل، وتوافق ظروفا مقالية معينة، فالحال يمكن أداؤها بطرق شتى انطلاقا من بنية عميقة يمكن افتراضها على النحو التالي:

(فعل (معناه الحركة/صيغته الماضي) + اسم + حال (يؤكد نوع الحركة الأولى)، ومن هذه الطرق:

- جاء زيد مسرعا
- جاء زيد يسرع - جاء زيد وهو مسرع
- جاء زيد يسرع - جاء زيد قد أسرع
- جاء زيد وقد أسرع[32]

فجميع هذه الأنماط تشترك في تعبيرها عن أصل وظائفي واحد، لكن تختلف في الزيادات التي تحدثها في أصل المعنى وبهذه الزيادات تتحقق الملاءمة بين أغراض المتكلم ومقاصده.

فغرض المتكلم أو مقصده أو ما يمكن أن نعبر عنه بالبنية العميقة في التركيب ، قد أشار إليها الجرجاني ، وقدّم مثالاً على ذلك ، وهذا المفهوم هو نفسه ما ذهب إليه تشومسكي ، يقول الجرجاني: " وذلك أنك إذا قلت : " ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له" ، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم ، هو معنى واحد لا عدة معان ، كما يتوهمه الناس ، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها ، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو (ضرب) ، وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق "[33]

خاتمة:

نخلص إلى أن قراءة حمادي صمود للتفكير البلاغي عند الجرجاني قراءة لسانية بنوية استدعت التركيز على أهم مقومات الدرس اللساني الحديث والماثلة في ثنائية " اللغة والكلام"، وبعد قراءة مؤسسة منهجيا أثبت عمق طرح الجرجاني الذي بناه على أبعاد معرفية لها فلسفتها ومبادئها وهذا ما توفر له وجعل منه مفكرا ينافس ما يطرح في الساحة اللسانية حديثا، ويمكن إجمال ذلك في:

ـ أنّ مرتبة الكلام وقيمته والتي أجملها الجرجاني في نظريته للنّظم هو المجاز أو معنى المعنى.

ـ محاسن الكلام في معظمها، إن لم نقل كلها تعود إلى الخروج بالتعبير المألوف إلى ما هو مختلف، أو معنى المعنى كما عبّر عنه الجرجاني.

ـ تلاقى الجرجاني مع الكثير من مقولات الدرس الحديث في مفهوم الكلام ومراتبه واللغة وموضعها.

ـ أحدث الجرجاني بآرائه نقلة في مجال الدراسات اللغوية، وذلك حين دعا إلى عدم إعطاء الفضل للفظ أو للمعنى بل بهما معا وتجاوز المعنى الظاهري للفظ إلى معنى خفي.

ـ استطاع أن يضع أسس نظرية جمالية تميز الكلام الشعري عن غيره من الكلام بخصائص مازالت تشغل النّقاد والمنظرين حتى يومنا هذا.

ـ توصل إلى أن هناك كينونة للألفاظ قبل استعمالها، تختلف عن كينونتها بعد الاستعمال، حيث تنتقل من الثبات إلى التحويل.

.ربط النظم بالصّنعة والحالة النفسية.

.الرؤية الكلية إلى مكونات النّص وسياقاته.

ليبق أن نقول أنّ الموروث البلاغي لا يزال خصبا، لمن أراد أن يستخرج المزيد من كنوزه، فالماضي نص مفتوح للقراءة على الدوام على تعبير محمد العمري، فلنمد أيدينا لنبني جسرا بين الماضي والحاضر، دون تفريط في الماضي ودون إلغاء للحاضر.

الإحالات :

[1] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 448.

[2] عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر.ص 165.

[3] محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر، ص 340.

[4] محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر، ص 341

[5] عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر، 462.

[6] عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر، 376.

[7] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، 452.

[8] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 446.

[9] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 449.

[10] محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر، 332.

[11] عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر ، ص 55.

[12] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 453

[13] حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 452.

[14] عيسى علي العاكوب، 2012،ط9 ،التفكير النقدي عند العرب، دار الوعي،الجزائر ، ص 304

[15]عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ص 96.

[16]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 453.

[17]محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر، ص 332.

[18]عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ص 215.

[19]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 457.

[20]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 458.

[21]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 459.

[2222]خليل يخلف، مقال نظم الكلام البياني عند عبدالقاهر، نشر بتاريخ 18 أكتوبر 2015 ، رابط المقال: https://www.alukah.net/literature_language/0/93314/، تاريخ زيارة الموقع: 14ماي2021 ،التوقيت08:24، ص 305

[23]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 367.

[24]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 368.

[25]نفسه، ص 369.

[26]محمد الولي، 1990،ط1، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ص 55.

[27]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 372.

[28]محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر، ص 339.

[29]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 455.

[30]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 461.

[31]عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر.ص 74.

[32]حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان ، ص 462.

[33]عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ص 76.

المراجع :

- حمادي صمود، 2010،التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان .

- خليل يخلف، مقال نظم الكلام البياني عند عبدالقاهر، نشر بتاريخ 18 أكتوبر 2015 ، رابط المقال: https://www.alukah.net/literature_language/0/93314/، تاريخ زيارة الموقع: 14ماي2021 ،التوقيت08:24

- محمد الصغير بناني، 1996، البلاغة العربية وأصولها النظرية، أطروحة دكتوراه، منشورات جامعة الجزائر.

- محمد الولي، 1990،ط1، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان .

– عبدالقاهر الجرجاني، 1984،دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهد محمود شاكر مكتبة الخانجي القاهرة مصر.

– عيسى علي العاكوب، 2012،ط9 ،التفكير النقدي عند العرب، دار الوعي،الجزائر .